مبادئ المواطنة الصالحة وسماتها في فكر الإمام الحسين عليه السلام

الأستاذ المساعد الدكتور
محمّد ضياء الدّين خليل إبراهيم
كليّة الإمام الأعظم الجامعة
mohammad_80d@yahoo.com

المقدمة:

شكلت ثورة الإمام الحسين عليه السلام انعطافة كبيرة في المجتمع والتاريخ، ونهضة في العقول والأفكار، وصدمة في النفوس والقلوب، ولذلك لم يقتصر أثرها على اللحظة التاريخية التي وقعت فيها، بل امتد تأثيرها إلى كل العصور والأزمان.

فلم تكن ثورة الإمام الحسين كسائر الثورات، بل كانت استثناء في كل شيء، فقائدها الإمام الحسين نفسه، وما يرمز إليه من شخصية وتراث وفكر ومكانة، فالإمام سبط رسول الله وريحانته، وسيد شباب أهل الجنة، ومصباح الهدى والعروة الوثقى، وإذا به يقدم نفسه فداءً من أجل الدين، ومقاومة الظلم والفساد والانحراف في معركة غير متوازنة.

وقد ترك الإمام الحسين عليه السلام بثورته الخالدة تاريخاً مشرقاً في مسيرة الأمة الإسلامية، وتراثاً عظيماً في التضحية والإيثار والفداء من أجل الدين، وتقديم أهل بيته وأولاده وأصحابه قرابين في سبيل الله تعالى، فلم يشهد التاريخ ثورة كثورة الإمام الحسين في أهدافها وتضحياتها ومنطلقاتها ورموزها، فهي بحق ثورة استثنائية في كل مشاهدها وصورها الدامية، ورسالتها المعبرة بكل قوة وشجاعة عن الحق والحرية والإصلاح.

واليوم ونحن نعيش في الألفية الثالثة نستلهم من ثورة الإمام الحسين عليه السلام الكثير من الدروس والعبر في قضايا عصرنا، كمسألة الإصلاح، ومسألة الحرية، ومسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومسألة مقاومة الظلم وتحقيق العدل، ومسألة تحمل المسؤولية الاجتماعية، وسمات المواطن الصالح، ومبادئ العلاقات الاجتماعية التي تحكم ابناء المجتمع الواحد...وغيرها من المسائل والقضايا المعاصرة التي تؤثر في مسيرة الأمة، وحياة الشعوب والأمم.

ومن المعلوم أنّ للبيئة والنشأة أثراً، فالبيئة الصالحة لا تخرج إلّا صالحاً، والنشأة الطيبة لا تأتي إلّا بطيب. وإذا كان الأمر كذلك فأيُّ بيئة أفضل من تلك البيئة التي ترعرع فيها الحسين عليه السلام؟، وأيُّ نشأة أزكى من تلك التي نشأها الحسين عليه السلام؟، وأيُّ أسرة أطهر وأنقى وأشرف من التي تربى فيها الحسين عليه السلام؟، فجده هو رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمه هي فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء أهل الجنة، وهي العفيفة الشريفة الطاهرة المطهرة حبيبة أبيها وقرة عينه صلى الله عليه وآله، وأبوه هو الليث المغوار، وسيد الأوصياء، والخليفة الراشد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فهذا هو البيت الذي تربى فيه الإمام الحسن عليه السلام.

بيتٌ أذهب الله الرجس عن أهله وطهرهم تطهيراً، فعن أمّ سلمة رضي الله عنها، أنّ النبي صلى الله عليه وآله جلّل عليّاً وحسناً وحسيناً وفاطمة بكساء، ثم قال: ((اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اللهم أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً)) (الحديث رواه أحمد في مسنده: ٢٩٨/٦، ٣٠٤، والترمذي في سننه برقم: ٣٢٠٥).

وقد ساهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كثيراً في تماسك شخصية الإمام الحسين عليه السلام بعد أن ظلله منذ سنيّه الأولى، ممّا سهّل كثيراً في نمو أعظم الصفات الإنسانية، وقد نشأ الإمام عليه السلام وهو يتنفس عبير الأخلاق من أعظم الكائنات رسول الله صلى الله عليه وآله، والزهراء عليها السلام، وأمير المؤمنين عليه السلام. إنّ الوسط الذي عاش فيه الإمام عليه السلام جعله يختزن كل ما هو جميل وسامٍ، فالوسط الاجتماعي يؤثر كثيراً في شخصية الإنسان.

وهذا البحث يحاول أن يستلهم من ثورة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة أجوبة على مسائل وقضايا العصر الملحة بهدف تقديم رؤية فكرية مستوحاة من نهضة الإمام الحسين عليه السلام تساعد على رسم منهج واضح لمعالجة قضايا العصر.

وقد جاء بحثنا هذا ليكشف عن سمات المواطن الفاعل التي أرشد إليها الإمام الحسين عليه السلام، والكشف عن أهم المبادئ التي توجه علاقة المواطن المسلم بمن حوله. ولأجل الوصول إلى هذه الأهداف قسم البحث على ثلاثة مباحث رئيسة، هي:

المبحث الأول: وقد جاء بعنوان ((المواطنة في الشريعة الإسلامية)) مفاهيم ودلالات، وقد تناولنا في هذا المبحث بيان معنى الوطن، والوطنية، والمواطن من الناحية اللغوية، ومن

وجهة نظر الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني: وقد جاء بعنوان ((سمات المواطن الفاعل كما بينها الإمام الحسين عليه السلام)) وقد تناولنا في هذا المبحث أهم السمات التي يجب أن يكون عليها المواطن المسلم من خلال الاستناد إلى نصوص التي رويت عن الإمام الحسين عليه السلام، وهذه السمات منها الإيمانية، والأخلاقية، والاجتماعية...الخ.

المبحث الثالث: وقد جاء بعنوان ((المبادئ التي توجه علاقة المسلم بمن حوله في فكر الإمام الحسين عليه السلام))، وقد تناولنا في هذا المبحث أهم المبادئ والأسس المستلهمة من فكر الإمام الحسين عليه السلام التي يجب أن يراعيها المواطن المسلم في أثناء علاقته بالآخرين، ومن هذه المبادئ: والعدل والمساواة...الخ.

وختاماً: نرجو أن تكون هذه الدراسة قد أعطت الموضوع حقه، وأن يفيد منه الباحثون، مثلما أفاد البحث من غيره.

المبحث الأول

مفهوم المواطنة في الفكر الإسلامي

ولتحديد مفهوم المواطنة في الشريعة الإسلامية كان لابُدَّ من عرض المصطلحات المتعلقة به والتي تقودنا بدورها إلى بيان المصطلح على النحو الآتي:

أ) مفهوم الوطن: الوطن لغة: محل الإنسان، وأوطن الأرض ووطّنها واستوطنها، أي: أتخذها وطناً، وتوطين النفس على الشيء كالتمهيد، والموطن المشهد من مشاهد الحرب[1]. ومن الملحوظ أنَّ كلمة الوطن لم ترد في القرآن الكريم باستثناء قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (التوبة: ٢٥).

وأمَّا في السُّنّة النبوية فقد ذكر الوطن والديار والبلاد، في قوله صلى الله عليه وآله: وطني وداري[2]، وقوله: ((يرجع إلى بلادهم وأوطانهم))[3]، وإذا كانت كلمة الوطن بالتحديد، لم ترد في القرآن الكريم، فقد وردت كلمة الديار وهي مرادفة لها في مواضع عديدة نذكر منها على

سبيل المثال لا الحصر:

- قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (العنكبوت: ٣٧).

- قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ (القصص: ٨١).

- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ (الحشر: ٢).

- قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا﴾ (الأحزاب: ٢٧).

ومن خلال تأمل الآيات السابقة، يتضح أنَّ الدار التي ترادف معنى الوطن عبارة عن وعاء يستوعب حركة ساكنيه وتفاعلهم وحسبما يكون سلوكهم في أوطانهم يكون واقعهم في الحياة، فالدار ترتبط بخصائص أهلها، فهي إمّا دار مؤمنين أو دار فاسقين وبناءً عليه يكون التمكين في الأرض والديار للمؤمنين.

ومن الجدير بالذكر هنا أنَّ الوطن في حقيقته يمثل البيئة المادية والمعنوية على سواء، ويتعلق المواطن بهاتين البيئتين ويتفاعل معهما في حياته، وعن طريق هذا التفاعل يكتسب كيانه الجسمي والروحي والثقافي، فالبيئة المادية قد لا تتغير عبر العصور والعهود إلَّا قليلاً، لكن الذي يتغير هو الوطن المعنوي المتمثل في قيم المجتمع وعاداته وتقاليده وأساليب تعامل أفراده مع بعضهم، ومن شأن هذا التغيير أن يغير من تجاوب المواطن مع وطنه ومن شعوره بالسعادة أو الضيق، فقد يستبد الحكام وتنتهك الحريات ويسود الظلم فيضطر الأحرار والمثقفون إلى أن يهجروا أوطانهم لا هرباً من الوطن المادي، ولكن فراراً من البيئة المعنوية التي أصبحت لا تطاق[٤].

ب) مفهوم الوطنية: اختلف الباحثون والدارسون والكُتّاب في نظرتهم للوطنية، تبعاً لاختلاف مدارسهم واتجاهاتهم الفكرية، فهناك من رأى أنّها مجرد ((حب للوطن والشعور بارتباط باطني نحوه وهي ارتباط الفرد بقطعة من الأرض تعرف باسم الوطن))[٥].

وعُرِّفَتِ الوطنية كذلك بأنَّها عبارة عن مشاعر وروابط فطرية تنمو بالاكتساب لتشد الإنسان إلى الوطن الذي استوطنه[٦].

وذهب بعضهم إلى أنَّ مفهوم الوطنية ليس مجرد ارتباط بين مجموعة من البشر بأرض محددة، وإنّما هي ولاءٌ وانتماءٌ من كل هؤلاء الذين يعيشون على هذه الأرض[٧].

وتعني الوطنية بالمفهوم الضيق المتشدد ((أن يشعر جميع أبناء الوطن الواحد بالولاء لذلك الوطن والتعصب له، أيًا كانت أجناسهم التي انحدروا منها، أي: الولاء فيها للأرض بصرف النظر عن القوم أو اللغة أو الجنس))[٨]. ويتناقض هذا المفهوم مع عقيدة الإسلام التي تقتضي أن يكون الولاء خالصاً لله عزّ وجلّ كما جاء في التوجيه القرآني للمؤمنين: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥)، ومن الطبيعي أنَّ هذا النوع من الولاء الأعمى للأرض، يؤدي في الغالب بصاحبه إلى الانحسار والتقوقع وفقدان مقومات الفعالية والمشاركة في صنع المجتمع والحضارة الإنسانية، فضلاً عن كونه شكلاً من أشكال العصبية الجاهلية المنافية للدين. ويقدم بعض الباحثين، مفهوماً عملياً للوطنية، إذ يعدها نوعاً من الارتباط بين الذات والوطن والانفتاح على الآخر وحدودية الاندماج فيه، ثم الدفاع عن المصلحة الذاتية داخل العالمية والمصلحة الخاصة داخل العمومية، فالوطنية بمفهومها الواسع تشكل إطاراً للقيم الإنسانية وليست جداراً يسجن ولا حاجزاً لنفي، إنّما هي معبر للالتقاء بالإنسانية كلها[٩].

وعَرّف سليمان الحقيل الوطنية بأنَّها: تلك العاطفة القوية التي يحس بها المواطن نحو وطنه العزيز، وتلك الرابطة التي تشده إليه، وذكر أنَّه لا يوجد تعارض بين الوطنية والانتماء إلى أُمّة الإسلام، ذلك أنّ حبَّ الوطن لا يناقض حب المسلمين أينما كانوا بل يكون متمماً له[١٠].

وينتقد البنا الوطنية التي تقسم الأمة إلى طوائف تتناحر وتتضاغن يكيد بعضها لبعض وتتبع المناهج الوضعية التي أملتها الأهواء وشكلتها الأغراض والمصالح الشخصية، فتلك وطنية زائفة لا خير فيها لدعاتها ولا للناس، ويوازن بين وطنية الإسلام والوطنية الصنمية الجاهلة بقوله: ((أمَّا وجه الخلاف بيننا وبينهم، فهو أنّنَا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية، فكل بقعة فيها مسلم يقول لا إله إلّا الله محمد رسول الله وطنيٌ عندنا، له حرمته وقداسته وحبه والإخلاص له والجهاد في سبيل خيره، وكل المسلمين في هذه الأقطار الجغرافية أهلنا وإخواننا نهتم لهم ونشعر بشعورهم

ونحسُّ بإحساسهم))، فالوطنية ليست مجرد ارتباط بقطعة أرض أو عشيرة أو قرابة دم أو راية قوم وإنّما هي راية الإسلام التي نعيش من أجلها ونجاهد في سبيل إعلائها[١١].

وفي ضوء ما تقدم ذكره، يمكن تعريف الوطنية من منظور إسلامي بأنَّها: ((نوع من التعلق بالوطن الذي يعيش فيه المسلم، أيًا كان موقعه الجغرافي وإضمار الحب والولاء لساكنيه من المؤمنين العاملين من أجل إقامة دين الله في الأرض مهما اختلفت ألوانهم وألسنتهم وأجناسهم))[١٢].

وبالإجمال يمكن التعاطي مع مصطلح الوطنية وليس بالضرورة أن يكون مناقضاً للإسلام في كل الأحوال طالما أنَّ فهمنا له ينطلق من الأصول الإسلامية.

ج) مفهوم المواطنة: لا يتصور وجود الوطن بدون مواطنين، يعيشون فيه معاً، فالمواطنون هم فئات الشعب على اختلاف مستوياتهم الثقافية والاجتماعية يجمعهم وطن واحد له حدوده الجغرافية والسياسية وتاريخه ونضاله المشترك وقوانينه التي تنظم العلاقات بين هؤلاء المواطنين[١٣].

وكلمة المواطن تعني الإنسان مضافاً إليه مدلول من دلالات الوطن ليس الأرض بما فيها من موارد فحسب، وإنَّما الوطن في أوسع معانيه والذي يمنح المنتمي إليه الإقامة والحماية والانتماء والعمل والاستقرار وغير ذلك من الحقوق التي يتيحها الوطن للمواطن[١٤].

وأمَّا لفظة المواطنة فتوحي بالتفاعل بين الذين ينتمون إلى الوطن فيأخذون منه ما يعطي من حقوق ويمنحونه ما يتطلب من واجبات[١٥].

وقد ذهب بعض الباحثين إلى قصر مفهوم المواطنة على البلد الواحد الذي يعيش فيه الفرد وهي التي تحدد للمواطن حقوقه وواجباته ومعنى الولاء لبلاده وخدمتها في أوقات السلم والحرب والتعاون مع الآخرين في تحقيق الأهداف القومية[١٦].

وذهب كذلك الدكتور عمر محمد التومي إلى أنَّ المواطنة لا تعدوا كونها ((تعبيراً عن التعلق والارتباط الروحي والنفسي القائم بين الفرد ووطنه ومواطنيه الذين تربطهم به علاقات وروابط لغوية وثقافية وروحية واجتماعية وسياسية وهذا التعلق أو الارتباط يكوّن إخلاص المواطن لوطنه وقيامه بواجباته ومسؤولياته نحوه))[١٧].

وفي مقابل هذا الاتجاه في فهم المواطنة هناك من ينظر إليها بصورة أكثر شمولية، تتعدى حدود علاقة المواطن بوطنه الذي يقطن فيه ويرتبط بآخرين يشاركونه في الوطن المحلي إلى الوطن العالمي الإنساني، فالمواطنة الصالحة يقصد بها إيجاد روح حب الوطن أو المجتمع مع اختلاف تركيبته والقيم التي توجد فيه إذ يندرج حب الوطن مع حبه لمدينته الصغيرة فدولته فمجتمعه الكبير العالمي(١٨).

فمن خلال استقراء التعاريف السابقة للمواطنة، نرى أنّها: عملية تفاعلية بين الأفراد في المجتمع الواحد، تمتد إلى المجتمع العالمي الإنساني، وتقوم على روابط ثقافية تجذر الولاء للوطن، وتشجع على التعاون بين أفراده.

ونلاحظ من خلال تتبع آيات القرآن الكريم، أنّه استخدم مصطلح القوم بمعنى الجماعة القائمة بأمرها والتي يكون فيه الفرد عضواً فيها، وهي تعيش على أرض ما عبَّر عنها بالديار كما سبق الإشارة في معرض حديثنا عن مفهوم الوطنية، وقد سجل القرآن الكريم حوارات عديدة بين أبناء الوطن الواحد نذكر منها على سبيل المثال:

قال تعالى: ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ١٢٧)، وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ (غافر: ٤١)، وقال تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ (البقرة: ٥٤)، وقال تعالى على لسان نبيه صالح عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ (هود: ٦٤)، وقال تعالى في حق نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ (العنكبوت: ١٦)، وقال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ﴾ (البقرة: ٦٠)، وقال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٣٨)، وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢)، وقال تعالى مخاطباً المؤمنين ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ

﴿مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١٣).

ومن خلال تأمل الآيات السابقة، يتضح لنا ما يأتي:

١- العلاقة بين أبناء الوطن الواحد، قائمة على التعاون والتناصح وحب الخير للآخرين وكل سلوك يرضي الله عزّ وجلّ.

٢- ترتكز هذه العلاقة على قاعدة الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين والفاسقين.

٣- لوحظ في القرآن الكريم كله، أنَّ خطاب الرسول صلى الله عليه وآله لم يوجه لقوم بعينهم كما أنَّه لم يُنْسِب نفسه إلى قوم ما فيقول: قومي، وإنّما كان موجهاً للناس جميعاً كما بين القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (الحج: ٤٩)، فلم يكن النبي محمد صلى الله عليه وآله لينسخ باطلاً بباطل ويبدل عدواناً بعدوان، ولم يبعث زعيماً وطنياً أو قائداً سياسياً يخرج الناس من حكم الفرس والرومان إلى حكم عدنان وقحطان، وإنّما أرسل إلى الناس كافة ليخرج عباد الله جميعاً من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن هنا لم يكن خطابه لأمّة دون أمة ووطن دون آخر، ولكن كان موجهاً للنفس البشرية وللضمير الإنساني وكانت أمته العربية لانحطاطها وبؤسها أحقُّ من يبدأ به مهمته الإصلاحية(١٩).

وبناءً على ما تقدم يمكن القول: أنَّ مفهوم المواطنة في الإسلام، يتجاوز علاقة المواطن بوطنه مسقط رأسه فقط إلى المجتمع الإنساني ككل، فالمواطنة عبارة عن مستويات ودوائر متعددة من العلاقات، تبدأ من علاقة المواطن المُسلم بمجتمعه المحلي مروراً بالمجتمع العربي الإسلامي، انتهاءً بالمجتمع الإنساني العالمي، وهذه العلاقات حيث امتدت أنبتت حقوقاً وواجبات وتفاعلات محكومة بضوابط شرعية.

وفي ضوء ما سبق يمكن صياغة تعريف دقيق وجامع للمواطنة في الإسلام بأنَّها: ((صورة من صور التفاعل الإنساني بين أفراد المجتمع الواحد من جهة والمجتمع الإنساني العالمي من جهة أخرى، والتي تقوم على أساس الحقوق والواجبات والإخاء، وحب الخير للناس والحرص على منفعتهم والتعاون معهم بما يرضي الله))(٢٠).

وقد يعتقد بعضهم أنَّ هذا المفهوم (المواطنة) هو حديث عهد ولا معرفة للعرب، والمسلمين به، ولكن إن كان حديث عهد فإنَّ مدلولاته وآثاره قديمة، وللعرب وللمسلمين أصول متجذرة في ذلك، فالعرب قديماً اقتربوا من مفهوم المواطنة وذلك في زمن دولة سبأ، إذ عرفت سبأ ومعين قدراً من المشاركة السياسية، فسبأ عرفت التمثيل النيابي محل شيوخ القبائل(٢١).

كما أنَّه عندما كان الإسلام على وشك البزوغ، قام في مكة حلف الفضول الذي كان يتدخل لنصرة المظلوم، سواء أكان من أهل مكة، أم من زوارها، وهذا دليل على أنَّ الحلف لم يكن ليفرق بين هذا وذاك، بل لينصف المظلوم ويعطيه حقّه أيًا كان ما دام يقطن الوطن (مكة)(٢٢).

ورسول الله صلى الله عليه وآله يعطي دروساً في حب الأوطان فقد ورد عن ابن عدي رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وآله خرج من مكة حتى إذا بمكان قد سمّاه قال: ((والله إنّك لخير أرض الله وأحبُّه إلى الله تعالى، ولولا أني كنت أُخْرِجْتُ منك ما خرجت))(٢٣).

وقرب المسلمون الأوائل أيضاً من مفهوم المواطنة كما كان معروفاً قبل الإسلام، وكان ذلك بفضل ما يحمله الإسلام من منظور إنساني للوحدة الإنسانية، والمساواة في الحقوق والواجبات(٢٤).

وكما يقول الكواري أنَّ الإسلام قدّم مفهوماً شاملاً لا يقصي منه أحداً لا بسبب اختلاف الملة، أو الدين أو النوع أو العرق، وبرغم التنوع أو التعددية التي يكون عليها البشر إلَّا أنَّ الانتماء للأمة واحد، فلإسلام نظر نظرة شاملة للوحدة الإنسانية والمساواة في الحقوق والواجبات والقربى، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: ١)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

وقد انطلق الإسلام في نظرته للمساواة من أنَّ الناس في نظر الإسلام إخوان ومتعاونون على الخير وفعله ولكل دينه الذي يدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وإلى جانب المساواة كانت مبادئ العدل، والقسط، والإنصاف من المبادئ الجوهرية التي أكدها الإسلام، وذلك

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠).

فـ((المواطنة من المنظور الإسلامي هي مجموعة العلاقات والروابط والصلاة التي تنشأ بين دار الإسلام وكل من يقطن هذه الدار سواء أكانوا مسلمين أم ذميين أم مستأمنين))[٢٥].

ويشير محجوب إلى((أنَّ الإسلام وضع أول وثيقة عالمية في حق المواطنة دون تفريق بين أصحاب الأديان، أو العقائد، أو الاختلاف في اللون أو الجنسية، وأنَّ الإسلام سبق العالم في الإعلان عن أول وثيقة لحقوق الإنسان، في بداية بناء أول دولة إسلامية في المدينة المنورة، قدّمها الإسلام كأول دستور من دساتير الأرض، وأروع نموذج للوحدة الوطنية والإخاء الإنساني، فأعلن أنَّ أهل المدينة جميعاً أخوة تجمعهم رابطة الوطنية، المسلمون، واليهود، والمسيحيون يشكلون أمة واحدة تجمعهم الروابط الأخوية والروح الوطنية، فكل له دينه في إطار الوحدة الوطنية، وهم جميعاً مسؤولون عن الدفاع عن وطنهم في إطار من الوحدة))[٢٦].

ويؤكد خالد الحروب ((أنَّ المواطنة لا توجد بالسليقة والطبع، ولا تحدث قَدَراً واعتباطاً ولا تمنح منحاً من مصدر خارجي، بل تكتسب اكتساباً شأن قيم الحياة الأخرى وبمقدار ما يبذله أبناء المجتمع من أجلها، وبمبلغ إقبالهم على التضحية بمصالحهم، وبولاءاتهم الأخرى في سبيل ولائهم الوطني المشترك، وكلما كان هذا الإقبال أقوى وأفعل، كانت الحياة الوطنية أصحَّ وأسلم، ومعنى الوطن والمواطنة أصفى وأتم وأكمل))[٢٧]، هذا القول يدلل على أنّ الإسلام هو من أسس لهذه المواطنة، وهو من أصّل لها حيث عزّز الأخلاق التي تحكم المجتمع، وتسعى لرقيه، وارتقائه، وهو الأقدر على تسييس أمور المجتمع ومعرفة مصالح أبنائه وإنصافهم جميعاً.

من خلال ما سبق يتبين أنَّ معظم الباحثين قد قصروا مفهوم المواطنة على الوطن الذي يعيشون فيه بينما الإسلام جسد، وبين المعنى الحقيقي للمواطنة، وذلك عندما تحدث عن شموليتها واتساعها لتشمل العالم بأسره حينما قال المولى تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) فلم يقصرها على بلد واحد، أو قارة واحدة، أو

حتى عالم واحد، بل عالمين يشمل الإنس والجن والكائنات الأخرى، فما أعظمه من دين وما أعظم شموليته.

المبحث الثاني

سمات المواطن الفاعل كما بينها الإمام الحسين عليه السلام

إنَّ مجرد ولادة أي شخص في وطن ما ونشأته بين سكانه وحمله لجنسيته لا يكفي لجعل ذلك الشخص مواطناً صالحاً، بل إنّ المواطنة الصالحة تقتضي أن يتحلى المواطن بمجموعة من الصفات التي تجعله منتجاً فعّالاً صالحاً لخدمة وطنه في حدود إمكاناته وقدراته الخاصة[٢٨].

ويقصد بفعالية المواطن هنا ((سلوكه المعبر عن المبادرة الذاتية وحب العمل والحرص على المشاركة والتفاعل مع الآخرين)) وتنبثق فعالية المواطن المسلم، من خلال شعوره بأنَّه مخلوق مكرم وأنَّه مستعمر في هذه الأرض بأمر الله عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود: ٦١).

كما تتولد هذه الفعالية عن الإيمان بالبعث والحساب حيث جاء الربط بين سعي الإنسان الحثيث للعمل في الدنيا وملاقاة الله عزّ وجلّ في الآخرة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق: ٦)، ومن خلال استقراء نصوص وأقوال سيدنا الحسين عليه السلام المتعلقة بموضوع المواطنة، تم التوصل إلى جملة من السمات يمكن تلخيصها فيما يأتي:

أ) سمة الإيمان بالله:

فالإيمان أساس الاستقامة وهو منبع الفعالية بالنسبة للمواطن المسلم، يوجه سلوكه ويحرك همته ويقوي عزيمته على حمل الأمانة والقيام بالواجبات تجاه الآخرين، وقد كان الإمام الحسين عليه السلام وهو في أشد محنه يدعو أهل بيته وأصحابه إلى ضرورة التمسك بالتقوى واللجوء إلى الله فها هو يوصي أخته زينب وهو في ساحة المعركة فيقول لها عليها السلام: ((يا أخية اتقي الله، وتعزي بعزاء الله، وأعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يبقون،

وأنّ كل شيء هالك إلّا وجه الله، الذي خلق الأرض بقدرته، يبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده))، ولم يقتصر الأمر على الدعوة فقط، وإنّما كان قلبه عليه السلام متعلق بالله فها هو يأمر أحد أصحابه أن يشاغل أعداءه كي يصلي لله ويعبده فيقول عليه السلام: ((أرجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عنّا العشية، لعلّنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي كنت أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار))[٢٩].

ب) سمات أخلاقية:

١ـ الأمانة:

وقد بدا ذلك واضحاً من خلال قصة نبي الله موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٣-٢٦)، وجاء في تفسير الآية ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، قال لهما أبوهما وما علمك بذلك، قالت له: إنَّه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلَّا عشرة رجال وإنّي لَمّا جئت معه تقدمتُ أمامه فقال لي: كوني من ورائي فإذا اختلف عليَّ الطريق فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي به))[٣٠].

وما من شك في أنَّ امتلاك المواطن لصفة الأمانة مع القوة أدعى إلى أنجاز العمل المطلوب على أفضل وجه ممكن حيث إنَّ ((القوة والقدرة على ما ستؤجر عليه والأمانة فيه، وصفان ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملاً بإجارة أو غيرها فإنّ الخلل لا يكون إلَّا بفقدهما أو فقدان أحدهما وأمّا باجتماعهما فإنَّ العمل يتم ويكمل))[٣١]. وما تجاهل الإمام الحسين عليه السلام أهمية الأمانة ودورها في حياة المجتمع وهو ابن بنت رسول الله عنوان الأمانة، فشدد عليها ودعا إلى حفظها حتى وأن كانت لفظية وليست مادية فقال عليه السلام: ((الصدق عز، والكذب عجز، والسر أمانة))، فهو يدعونا إلى أن نصون الأمانة وإن كانت سراً باعتباره من خصوصيات الناس التي يجب أن لا تكشف.

ولقد أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون العلاقة التي تربط الإنسان بأخيه الإنسان، وبينه

وبين ربه، علاقة تفاعلية إيجابية؛ وذلك لأنّ الإنسان خليفة الله في الأرض وكل خليفة يجب أن يتسم بالصدق والأمانة كما أنّه هو الذي تحمل هذه المسؤولية - مسؤولية الأمانة - التي تعهد بحملها بعد أن عرضها الله على السماوات والأرض إذ قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢)، والأمانة هي قول الحق والاجهار بالصدق من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف بوجه الظلم، لأنّه دعاء إلى الإسلام كما قال الإمام الحسين عليه السلام: ((بدء الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنّها إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها، وذلك أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء الإسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها))[٣٢].

وفضلاً عن ذلك فقد صرح الإمام الحسين عليه السلام بأنّه قام بثورته بالخروج على الظالم ليؤدي دوره الرسالي كإنسان أولاً وإمام ثانياً من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكتب لأخيه محمد بن الحنفية قائلاً عليه السلام: ((أنّي لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق))[٣٣].

٢ـ الاستقامة والوفاء بالعهود:

حذر الإسلام من الإفساد في الأرض عملاً بالتوجيه القرآني: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦)، ونهى كذلك عن ارتكاب الجرائم الأخلاقية وعلى رأسها قتل النفس كما جاء في الكتاب المبين: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢)، والإفساد في الأرض لا يكون فقط بارتكاب الحرمات في حقّ الناس، وإنّما يكون كذلك في كل الممارسات السلوكية التي تضر بالإنسان من الغش والخداع والكذب.

كما أنّ الوفاء بالعهود والمواثيق من الأخلاق الفاضلة في جميع الأديان إلهية كانت أم وضعية، وقد جسد الإمام الحسين عليه السلام هذه القيم الأخلاقية في أشدّ المواقف خطورة، فبعد

اتفاق الإمام الحسين عليه السلام مع الحر بن يزيد الرياحي على أن يسايره فلا يعود إلى المدينة ولا يدخل الكوفة طلب منه الطرماح بن عدي أن ينزل قبيلة طي ليلتحق به عشرون ألف طائي فقال له الإمام عليه السلام: ((إنّه كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الإنصراف))[٣٤]، فقد وفّى عليه السلام بعهده وان كان قد أفقده عشرين ألف ناصر له وهو بحاجة إلى أي ناصر. فلم يمارس الإمام الحسين عليه السلام الكذب والخداع والتمويه في كلامه، وإنّما ركز على حقائق معلومة للجميع، فوّضح أهداف حركته وهي إصلاح الواقع إذ قال عليه السلام: ((ما خرجت أشراً ولا بطراً وإنّما خرجت لغرض الإصلاح في دين جدي محمد))[٣٥].

٣ـ القناعة والرضا بالقليل والزهد:

ويعرض القرآن نموذجاً للقناعة من خلال الحوار الدائر بين الفريقين من قوم قارون، فريق تطلع إلى متاع الحياة الدنيا وتمنى أن يكون له مثل ما أوتي قارون وفريق آخر زاهد في الحياة الدنيا متطلع إلى ثواب الله عزّ وجلّ قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (القصص: ٧٩-٨٠).

ويلفت الرسول المربي صلى الله عليه وآله انتباهنا إلى المقياس الحقيقي للغنى، ألا وهو غنى النفس وليس كثرة المال والمتاع كما جاء في قوله صلى الله عليه وآله: ((ليس الغنى عن كثرة العرض إنّما الغنى غنى النفس))[٣٦].

ولقد كان الإمام الحسين عليه السلام زاهداً في الدنيا شاكراً لله، فما انقطع عن الاتصال بربه والعزوف عن الدنيا في كل لحظاته وسكناته، وقد بقي يجسد إتصاله هذا بصيغة العبادة لله، وقد بدا عليه عظيم خوفه من الله وشدة مراقبته له حتى قيل له عليه السلام: ما أعظم خوفك من ربك، فقال عليه السلام: ليرغب المؤمن في لقاء ربه حقاً حقاً))[٣٧]؛ وذلك لأنّ الإنسان إذا تذكر الآخرة من خلال رغبته في لقاء ربه زهد في الدنيا، لذا نجده عليه السلام يحمد الله لأنّ هذه الدنيا دار فناء وزوال، فقال عليه السلام: ((الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته والشقي من فتنته، فلا تغرنكم هذه الدنيا، فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب طمع من طمع فيها))[٣٨]، ونتيجة لذلك كان عليه السلام كثير

البر والصدقة. فقد روي أنّه ورث أرضاً وأشياء فتصدق بها قبل أن يقبضها، وكان يحمل الطعام في وسط الليل إلى مساكين أهل المدينة لم يبتغ بذلك إلّا الأجر من الله والتقرب إليه(٣٩).

٤ـ الكرم والإيثار:

وقد تجسدت هذه السمة الرائعة في المهاجرين السابقين في الإيمان إذ جاء في محكم التنزيل: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩).

وتروي كتب السيرة أنَّه لـمَّا آخى الرسول صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار، قام سعد بن الربيع فعرض على عبد الرحمن بن عوف أن يشركه في بيته وأهله وماله في قسمة متساوية، ولكنَّ عبد الرحمن شكره وطلب منه أن يرشده إلى سوق المدينة ليشتغل فيها، ولم يكن هذا شأن سعد بن الربيع منفرداً فيما عرضه على أخيه، بل كان شأن عامة الصحابة وتعاونهم بعضهم مع بعض(٤٠).

وأمّا الإمام الحسين عليه السلام فقد جمع كلَّ فضائل الكرم والسخاء، والجود والسماحة، وضمّ إليها مراقي الخصال والصفات الحميدة الطيبة والأخلاق المحمودة، هذا ما حكْته لنا سيرتُه الطاهرة.

وإذا كان للسخاء معالم؛ منها الابتداء بالأولى، ومعرفةُ ما يجب بذلُه، والصدور عن طيبِ قلب، والإنفاق خالصاً

لوجهِ الله تعالى، وما إلى ذلك، فمن يزاحم الإمام الحسين عليه السلام في هذه المعارف والمعاني والحالات؟!.

لقد بذل عليه السلام حتى عرف أنَّه لا يخشى النفاد؛ لأنَّه أحسن الظن بالله تعالى؛ إذ هو الرزاق ذُو القوةِ المتين فكان عليه السلام كما قال وكما دعا؛ إذ ورد عنه عليه السلام في جملة حِكمه قولُه: ((إنّ أجود الناسِ من أعطى من لا يرجوه))(٤١).ولقد أعطى من يئس من الناس، وأعطى فوق ما ينتظر المعسر. ولا نستغرب وهو القائل: ((مالُك إن لم يكن لك كنتَ له، فلا تُبقِ عليه؛ فإنَّه لا يبقي عليك، وكُله قبل أن يأكَلك))(٤٢).

٥ـ سعة الصدر والحلم:

لمَّا دعا نبي الله هود عليه السلام قومه إلى عبادة الله عزّ وجلّ، تجاوزوا حد الأدب معه، فحلم عليهم وتحمل أذاهم وفظاظتهم لسعة صدره كما بيّن القرآن الكريم: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (الأعراف: ٦٥-٦٨).

وقد تأدب الإمام الحسين عليه السلام بآداب النبوة، وحمل روح جده الرسول صلى الله عليه وآله يوم عفى عمّن حاربه ووقف ضد الرسالة الإسلامية، فكان الحِلم من أسمى صفات أبي الشهداء عليه السلام ومن أبرز خصائصه، إذ كان لا يقابل مسيئاً بإساءته، ولا مذنباً بذنبه، وإنّما كان يغدق عليهم ببره ومعروفه شأنه في ذلك شأن جده الرسول صلى الله عليه وآله الذي وسع الناس جميعاً بأخلاقه وفضائله. فها هو يوصي ابن عباس في محاورته له فيقول الإمام عليه السلام: ((يا ابن عباس لا تتكلمن بما لا يعنيك، فإنّني أخاف عليك الوزر، ولا تتكلمنّ بما يعنيك حتى ترى له موضعاً، فربّ متكلم قد تكلم بحق فعيب، ولا تمارين سفيهاً فإنّ الحليم يغلبك، والسفيه يردك))[٤٣]، ولم تغب عنه صفة الحِلم وهو في ساحة المعركة والعدو يحيط به من كل جانب، إذ طلب منه أحد أصحابه وهو في الطف أن يهاجمهم فأجابه الإمام الحسين عليه السلام بلسان الحليم: ((ما كنت لأبدأهم بالقتال))[٤٤]، فيعود ويخاطب معسكر الأعداء بعد أن تأكد من أنّهم قد ساروا في طريق الضلالة، وإنّه ليس هناك من سبيل لهدايتهم فقال عليه السلام: ((دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير إليه أمر الناس))[٤٥]، وبذلك ألقى عليهم الحجة بحِلمه إذا ما قتلوه وهو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

٦ـ الشجاعة في قول الحق:

من سمات المواطن الفاعل، الشجاعة في قول الحق لاسيَّما أمام الجائرين والمتسلطين وأولي النفوذ، وقد ضرب القرآن الكريم مثالاً يقتدى به في ممارسة هذا السلوك الأخلاقي إذ جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر: ٢٨).

ولَمّا راح الطاغية يمنُّ على نبي الله موسى عليه السلام واجهه بالحقيقة وقال كلمة الحق دون أي اعتبار لموقعه وسلطانه قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (الشعراء: ١٨-٢٤).

وإنّ المرء ليعجز عن الوصف والقول حين يطالع صفحة الشجاعة في شخصية الإمام الحسين عليه السلام؛ فإنّه ورثها عن آبائه وتربى عليها ونشأ فيها، فهو من معدنها وأصلها، وهو الشجاع في قول الحقّ والمستبسل للدفاع عنه، فقد ورث ذلك عن جده العظيم محمد صلى الله عليه وآله الذي وقف أمام أعتى قوة مشركة حتّى انتصر عليها بالعقيدة والإيمان والجهاد في سبيل الله تعالى. ووقف مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام يعيد الإسلام حاكماً، وينهض بالأمة في طريق دعوتها الخالصة، يصارع قوى الضلال والانحراف بالقول والفعل وقوة السلاح ليعيد الحقّ إلى نصابه. ووقف مع أخيه الإمام الحسن عليه السلام موقف الأبطال المضحين من أجل سلامة الأمة ونجاة الصفوة المؤمنة المتمسكة بنهج الرسالة الإسلامية. ووقف صامداً حين تقاعست جماهير المسلمين عن نصرة دينها، أمام جبروت الطغاة، ولم يخش كلّ التهديدات ولا ما كان يلوح في الأفق من نهاية مأساوية نتيجة الخروج لطلب الإصلاح وإحياء رسالة جده النبي صلى الله عليه وآله والوقوف في وجه الظلم

والفساد، فخرج وهو مسلّم لأمر الله وساع لابتغاء مرضاته، وها هو عليه السلام يرد على الحر ابن يزيد الرياحي حين قال له: ((أذكّرك الله في نفسك فإنّي أشهد لئن قاتلت لتقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن، فقال له الإمام أبو عبد الله عليه السلام: أبالموت تخوفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ ما أدري ما أقول لك؟ ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى	إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلما
وواسى رجالاً صالحين بنفسه	وخالف مثبوراً وفارق مجرما
فإن عشت لم أندم وإن متّ لم أُلم	كفى بك ذلاً أن تعيش وثرغما))[٤٦]

ووقف عليه السلام يوم الطفّ موقفاً حير به الألباب وأذهل به العقول، فلم ينكسر أمام جليل

المصاب حتّى عندما بقي وحيداً، فقد كان طوداً شامخاً لا يدنو منه العدو هيبةً وخوفاً على الرغم من جراحاته الكثيرة حتى شهد له عدوه بذلك، فقد قال حميد بن مسلم: فوالله ما رأيت مكثوراً قطّ قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناناً منه، إن كانت الرجالة لتشد عليه فيشد عليها بسيفه فيكشفهم عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا اشتد عليها الذئب(٤٧).

ج- سمات وجدانية انفعالية:

- حب الخير للآخرين والإشفاق عليهم:

ونجد ذلك في سلوك نبي الله إبراهيم عليه السلام الذي راح يدعو بالخير لبلده كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (ابراهيم: ٣٥).

فالمواطن الصالح مشفق على أهل بلده ووطنه يتمنى لهم الهداية والنجاة من العذاب، وعبر عن ذلك قوله سبحانه وتعالى على لسان الرجل المؤمن من آل فرعون: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾(غافر: ٣٠-٣١).

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام عنوان للرحمة والتراحم، إذ كان يعطي السائل ويرد الملهوف ويحترم الكبير ويعطف على الصغير ويحافظ على أواصر الصلة والقربى وينبذ التفرقة والقطيعة وكل ما يدعو لها من نميمة و ظلم، فها هو يقول لابن عباس: ((لا تقولنّ خلف أحد إذا توارى عنك إلّا مثل ما تحب أن يقول عنك إذا تواريت عنه))(٤٨)، وهو بذلك يؤكد على ضرورة عدم اغتياب الآخرين لأنّها مدعاة للتفرقة، وفي حديث آخر له عليه السلام: ((يا هذا كف عن الغيبة فإنّها أدام كلاب النار))(٤٩)، إذ على المؤمن الذي يبتغي بلوغ الجنة أن يتصف بصفات لا يقطع بها أرحامه مع الناس جميعاً؛ وذلك لأنّ الإسلام ينظر إلى البشر جميعاً على أنّهم أخوة ومن

صلب واحد، لذا يخاطبنا سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ (الأعراف: ٢٦)، فكان الإمام ينظر إلى ذلك الأمر من هذا الباب، فكان عندما يبعث برسائله يخاطبهم بقوله: ((من

الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين))[٥٠].

د- سمات اجتماعية:

وهي سمات تعبر عن الروح الاجتماعية العالية والاستعداد للاندماج والتفاعل مع الآخرين، ويمكن إجمال أبرزها على النحو الآتي:

١ـ مخالطة الناس وتحمل أذاهم:

جاء في التوجيه النبوي الشريف: ((المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم))[٥١]. فالمخالطة لازمة لاكتساب الخبرات وتنمية الشخصية الاجتماعية وتعديل سلوك الفرد وفيها شيء من السلوى والأنس، وقد حذر الرسول صلى الله عليه وآله من المقاطعة والتهاجر بين الأخوة في المجتمع الواحد بقوله: ((لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فيلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام))[٥٢].

وقد اشتهر الإمام الحسين عليه السلام بتسامحه وعفوه فقد روي عنه عليه السلام أنّه قال: ((لو شتمني رجل في هذه الأذن - وأومأ إلى اليمنى - وأعتذر لي في اليسرى لقبلت ذلك منه))؛ وذلك أنّ أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام حدثني أنّه سمع جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((لا يرد الحوض من من لم يقبل العذر من محق أو مبطل))[٥٣]، كما روي أنّ غلاماً له جنى جناية كانت توجب العقاب، فأمر بتأديبه، فأنبرى العبد قائلاً: يا مولاي والكاظمين الغيظ، فقال عليه السلام: خلو عنه، فقال: يا مولاي والعافين عن الناس، فقال عليه السلام: قد عفوت عنك، قال: يا مولاي والله يحب المحسنين، فقال عليه السلام: أنت حر لوجه الله[٥٤]، إنّ إتباع الحق يقاتلون من أجل هداية الأعداء إلى المنهج الرباني لتحكيمه في التصور وفي السلوك وفي واقع الحياة، وهم لا يقاتلون انتقاماً لذواتهم وإنّما حباً للخير ونصراً للحق، ولذا نجدهم رحماء شفوقين حتى مع أعدائهم ليعودوا إلى رشدهم ويلتحقوا بركب الحق والخير، وقد جسد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه أروع ملاحم الإنسانية والرحمة والتسامح، ففي طريقة إلى كربلاء التقى بأحد ألوية جيش ابن زياد وكانوا عطاشى، فأمر الإمام الحسين عليه السلام أتباعه بسقي الجيش وقال لهم: اسقوا القوم، وأرووهم من الماء، ورشفوا الخيل ترشيفاً، وقد سقى الإمام الحسين عليه السلام بنفسه ابن طعان المحاربي[٥٥]. فهل هناك صوره أروع من ذلك تبين مدى

تسامح الإمام الحسين عليه السلام وعفوه حتى لأعدائه وهو يعلم أنّ الأمر لو كان معكوساً لَمَا فعلوا معهم ذلك وفعلاً هذا ما حدث في واقعة الطف.

٢ـ التعاون مع الآخرين:

حثّ الله سبحانه وتعالى عباده على التعاون في مجال الخير بقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(المائدة: ٢)، وبيّن الرسول صلى الله عليه وآله لنا بعض مجالات التعاون بقوله: ((تعدل بين اثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليه متاعه صدقة))[٥٦]، وحينما يسود الاختلاف ووجهات النظر بين أبناء الوطن الواحد فلا ينبغي أن يكون سبباً لترك التعاون والعمل المشترك من أجل المصلحة العامة، ولا ينبغي بأيٍّ حال من الأحوال أن تكون أمثال هذه الخلافات حائلاً دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير. والإمام الحسين عليه السلام بمقتضى نصوصه وكلماته التي تناولناها في القيم السابقة أمر مثلاً بأن لا يسيء المؤمن للآخرين في أية علاقة ثنائية أو جماعية، وأن تقوم علاقاته بهم على مبدأ الاحترام المتبادل، وتأكيداً على هذه القيمة قال الإمام الحسين عليه السلام في إحدى خطبه الإرشادية: ((وأعلموا أنّ حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم، فتحور نقماً، وأعلموا أنّ الأمر بالمعروف مكسب حمداً، ومعقب أمراً، فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين))[٥٧].

وكذلك ركز الإمام الحسين عليه السلام في بناء أنماط العلاقات على القيم والنزعة الأخلاقية مثل قيم التنافس الشريف في تحصيل المكارم وكسب المغانم والتأكيد على التعاون في تبادل المنافع وقضاء الحوائج الشخصية والاجتماعية، إذ يقول عليه السلام: ((يا أيها الناس نافسوا في المكارم، وسارعوا في المغانم، ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوا، واكسبوا الحمد بالنجح، ولا تكتسبوا بالمطل دماً، فمهما يكن لأحد عند أحد صنيعة له رأى أنّه لا يقوم بشكرها فالله له بمكافأته، فإنّه أجزل عطاءً، وأعظم أجراً))[٥٨].

ويستمر الإمام الحسين عليه السلام بمطالبة الإنسان المسلم بضرورة السعي والعجلة في تقديم العون لأخيه المسلم؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى سيضاعف له المكافأة، إذ يقول عليه السلام: ((فمن تعجل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه غداً، ومن أراد الله تبارك وتعالى بالصنيعة إلى أخيه كافأه بها في وقت حاجته، وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو أكثر منه، ومن نفّس كربة

مؤمن، فرّج الله عنه كرب الدنيا والآخرة))[٥٩].

٣ـ الحرص على المصلحة العامة:

جاء في الحديث الشريف ((أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس))[٦٠]، وقد ضرب نبي الله يوسف عليه السلام مثلاً يحتذى به في الحرص على مصلحة الآخرين، حينما طلبَ من العزيز أن يوليه على خزائن الأرض، قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥)، إذ جاء في تفسير الآية أنّ يوسف عليه السلام سأل العمل لعلمه وقدرته عليه، ولِمَا فيه من المصالح للناس وليتصرف لهم على الوجه الأحوط والأرشد، ويجوز للرجل أن يمدح نفسه في مثل هذه المواقف، إذا جُهِل أمره للحاجة[٦١].

وبناءً عليه فإنَّ المواطن الصالح لا يسعى إلى تحقيق رغباته وطموحاته وأمانيه على حساب المصلحة العامة وبما يضر بالآخرين، كحال من يحتكر السلعة ليحقق المكاسب المادية أو يتحايل على القوانين والنظم ليحقق مآربه الخاصة، أو يقدم المصلحة الحزبية الضيقة على مصلحة الوطن، وتقتضي مراعاة المصلحة العامة من الإنسان أحياناً أن يضحي بأغلى ما يملك هو نفسهن وهذا ما فعله سيدنا الحسين عليه السلام، فقد رسم الإمام عليه السلام لنفسه طريق الشهادة ولم يتردد للحظة واحدة للجهاد في سبيل الله من أجل نيل الرتبة الأعلى التي عدها الإمام علي عليه السلام فوزاً كبيراً حين ضربه أبن ملجم على رأسه الشريف فقال مقولته الشهيرة: ((فزت ورب الكعبة))، وإمتداداً لهذا الخط الاستشهادي صرح الإمام الحسين عليه السلام في أكثر من مناسبة برغبته بالموت في سبيل الله إذ قال عليه السلام: ((فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً))[٦٢]. ولم يكتف عليه السلام بذلك وإنما كان يرحب بالموت على سبيل نيل العز والشهادة فقال عليه السلام: ((مرحباً بالقتل في سبيل الله))[٦٣].

وهذا ما يجب أن يتصف به الإنسان المسلم وهو التسليم لأمر الله والخضوع له والموت في سبيله وتأكيداً لذلك نجد أن الإمام الحسين عليه السلام يقول: ((أما والله إنّي لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا قتلنا أم ظفرنا))[٦٤]، ففي كلا الحالتين إنتصار للإنسان المؤمن ونتيجة لذلك لم ينتصر أعداء الحسين عليه السلام على الرغم من كثرتهم وقتلهم له، بل هو الذي أنتصر عليهم بالمبادئ، والقيم والموت في سبيل الحق؛ لأنّه بلغ المنزلة التي يسعى إليها كل مؤمن وهي الشهادة في سبيل الله، لذا انتصر الدم في الطف على السيف، وانتصرت الكلمة على

الرمح، وانتصر الفكر على الظلم والجهل، والدليل على ذلك الانتصار هو خلود الحسين حياً في ضمائر المؤمنين بل والإنسانية جمعاء، فها هو غاندي يقول: ((لقد طالعت بدقة حياة الإمام الحسين، شهيد الإسلام الكبير، ودققت النظر في صفحات كربلاء وأتضح لي أنّ الهند إذا أرادت إحراز النصر، فلابُدّ لها من اقتفاء سيرة الحسين))[٦٥].

٤ـ حب العمل والحرص على إتقانه:

حثّ الإسلام على العمل واعتبره من المقومات الأساسية للحياة كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥)، وحذر الرسول صلى الله عليه وآله من التسول والبطالة بقوله: ((ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم))[٦٦].

وقد حثّ المولى سبحانه وتعالى عباده على إعمار الأرض مبيناً ارتباطهم العضوي بها، فقال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١)، وحثّ الإسلام كذلك على إتقان العمل، كما جاء في التوجيه النبوي الشريف: ((إنّ الله يحب العامل إذا عمل أن يحسن))[٦٧].

ولقد تم التأكيد في فكر الإمام الحسين عليه السلام على العمل، وقيمته كما يتضح ذلك في قوله: ((ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم، فإنّ ابتغاء الرزق من السنة))[٦٨]، على أن يبتغي الإنسان الاعتدال في العمل لا أن يعده الغاية القصوى التي يسعى إليها فيهلك نفسه دونها على حساب الجوانب الإنسانية الأخرى، وأثر عن الإمام الحسين عليه السلام في ذلك قوله: ((لا تتكلف ما لا تطيق، ولا تتعرض لما لا تدرك، ولا تعتد بما لا تقدر عليه))[٦٩].

هـ- سمات عقلية:

١ـ العلم:

يقول الإمام الحسين عليه السلام في العلم: ((العلم لقاح المعرفة، وطول التجارب زيادة في العقل، والشرف والتقوى))[٧٠]، كما كان عليه السلام يحث على العلم والمعرفة ويشجع عليهما، بحيث لم يكن يقصر ذلك على عمر معين. ولقد كان مجلس الإمام الحسين عليه السلام في المسجد النبوي، تلتف حوله حلقة واسعة من طلاب المعرفة ورواد العلم وأصحاب الحاجات، وقد

سأل رجل من قريش معاوية أين يجد الحسين؟ فقال له معاوية: ((إذا دخلت مسجد رسول اللّه صلى الله عليه وآله فرأيت حلقة فيها قوم كأنّ على رؤوسهم الطير فتلك حلقة أبي عبد اللّه))[٧١].

٢ـ حسن المنطق وحضور الحجة:

وندرك ذلك بوضوح من خلال بعض الحوارات الدائرة بين أهل الوطن الواحد، إذ جاء على لسان نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ (هود: ٩٢)، وقال تعالى على لسان الرجل الواعظ لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ (غافر: ٤١).

فقد روي أنّ أعرابيا من البادية قصد الإمام الحسين عليه السلام فسلم عليه فرد عليه السلام وقال: يا أعرابي فيم قصدتنا؟، قال: قصدتك في دية مسلمة إلى أهلها. قال عليه السلام: أقصدت أحداً قبلي، قال: عتبة ابن أبي سفيان فأعطاني خمسين ديناراً، فرددتها عليه وقلت: لأقصدن من هو خير منك وأكرم، وقال عتبة: ومن هو خير مني وأكرم لا أم لك؟ فقلت إمّا الحسين بن علي، وإمّا عبد الله بن جعفر، وقد أتيتك بدءا لتقيم بها عمود ظهري، وتردني إلى أهلي. فقال الحسين عليه السلام: والذي فلق الحب والنوى، وبرء النسمة، وتجلى بالعظمة ما في ملك ابن بنت نبيك إلّا مائتا دينار فأعطه إياها يا غلام، وإنّي أسألك عن ثلاث خصال إن أنت أجبتني عنها أتممتها خمسمائة دينار؟ فقال الأعرابي: أكل ذلك احتياجاً إلى علمي، أنتم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة؟ فقال الحسين عليه السلام: لا ولكن سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أعطوا المعروف بقدر المعرفة، فقال الأعرابي: فسل، ولا حول ولا قوة إلّا بالله. فقال الحسين عليه السلام: ما أنجى من التهلكة، فقال: التوكل على الله. فقال: ما أروح للمهوم؟، قال: الثقة بالله. فقال: أي شيء خير للعبد في حياته؟ قال: عقل يزينه حلم، فقال: فإن خانه ذلك؟ قال: مال يزينه سخاء وسعة، فقال: فإن أخطأه ذلك؟ قال: الموت، والفناء خير له من الحياة والبقاء. قال فناوله الإمام الحسين عليه السلام خاتمه، وقال: بعه بمائة دينار، وناوله سيفه، وقال: بعه بمائتي دينار، وأذهب فقد أتممت لك خمسمائة دينار))[٧٢].

٣ـ الانفتاح الذهني والمرونة العقلية والحكمة:

كان مِمّا نعى القرآن الكريم على اليهود والنصارى أنَّ كُلّاً منهما لزم موقفاً متزمتاً تجاه

الآخر، إذ رفض مجرد النظر فيما عنده من خبرات، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (البقرة: ١١٣)، وعبر عن سلوك الانفتاح الذهني في قوله تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران: ٦٤)، فالانفتاح الذهني حالة من التفاعل الفكري، تتجسد في الاستماع للآخرين والنظر فيما لديهم ومحاورتهم وتفهم سنة الاختلاف بين الناس بعيداً عن التعصب والانغلاق، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: ٢٢).

والحسين عليه السلام بوصفه إنساناً رسالياً وتلميذ القرآن سار على الخطوات التي دعا إليها لحاملي رسالته والمبشرين بدينه، فكان لا يدخر جهداً في أن تحقق نهضته أهدافها المنشودة وفق هذا البرنامج الرباني فكان عليه السلام يخاطب المرتدين بقوله: ((أنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله فإنّ السنة قد أميتت، وإنّ البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد))(٧٣).

ثم أضاف قائلاً: ((وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمّن الله يوم القيامة، من لم يخفه في الدنيا))(٧٤). ولم يكتف الإمام الحسين عليه السلام في دعواه على المرحلة الأولى وهي الحكمة وإنّما مارس دور الواعظ والمرشد فقام عليه السلام خطيباً فيهم قائلاً: ((عباد الله اتقوا الله وكونوا في الدنيا على حذر، فإنّ الدنيا لو بقيت لأحد أو بقي عليها أحد كانت الأنبياء أحقّ بالبقاء وأولى بالرضى وأرضى بالقضاء، غير أنّ الله تعالى خلق الدنيا للبلاء وخلق أهلها للفناء))، ولقد كان الإمام الحسين عليه السلام يتصف بكل ما في الحكمة من فضائل ويدعو لها مثل الفطنة والكياسة والذكاء وحسن التصور، إذ يقول عليه السلام في إحدى حكمه: ((لا تتكلف ما لا تطيق، ولا تتعرض لما لا تدرك، ولا تعد بما لا تقدر عليه، ولا تنفق إلّا بقدر ما تستفيد، ولا تطلب من الجزاء إلّا بقدر ما صنعت))(٧٥).

المبحث الثالث

المبادئ التي توجه علاقة المسلم بمن حوله في فكر الإمام الحسين عليه السلام

يعد هذا البحث من المباحث المهمة لتناوله الروابط والعلاقات التي تربط المواطنين بعضهم ببعضٍ سعياً لتحقيق ازدهار ورقي المجتمع وتمسكه واتحاده، فعن أبي نَضْرَةَ قال: حدثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في وسط أيام التشريق، فقال: يا أيها الناس ألا إنَّ ربكم واحد، وإنَّ أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلَّا بالتقوى، أبلّغْتُ، قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله(٧٦).

وعليه فإنَّ على المسلم أن يبني علاقاته بمن حوله على هذا الأساس، ومع ذلك فهناك مجموعة من المبادئ التي تضبط هذه العلاقة وتسيرها وفق المنهج الصحيح، ومن هذه المبادئ المستنبطة من أقوال الإمام الحسين عليه السلام وأفعاله، ما يأتي:

١ـ العدل والمساواة بين أبناء الوطن الواحد:

العدل قاعدة إسلامية يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: ٥٨)، ونلاحظ أنّ الله سبحانه وتعالى لم يقل: وإذا حكمتم بين المسلمين، لأنَّ العدالة شاملة للجميع، وعليه فلا يمكن لأيٍّ كيان ناشئ أن يكتب له الاستمرار مادام يفتقد للعدل والمساواة بين ابنائه، فالحكومات الباحثة عن الاستقرار والسيادة والارتقاء بأبنائها، لابُدَّ لها أن تؤسس للعدل والمساواة بين أبنائها.

ويرى الزهراني ((أنَّ الإنسان يحتاج إلى العدل في شتى جوانب حياته فهو يتعامل مع أفراد مختلفين لا تجمعه بهم صلة أو قرابة، أو معرفة، فإذا كان شعار أفراد المجتمع العدل، فإنَّه سيعيش وهو مطمئن؛ لأنَّه لن يظلم وسيأخذ كل حقوقه ومطالبه دون عناء مهما كانت منزلته))(٧٧).

والمواطنة حسب الفكر الإسلامي تستند إلى مبررات إنسانية قوامها روح العدل والمساواة بين الأفراد والأمم والشعوب وتنطلق من وحي الإيمان بالله الواحد، وهذا ما قرره رسول الله صلى الله عليه وآله فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((ما من أمير عَشَرَةٍ إلَّا جاء يوم القيامة مغلولاً، فإمَّا أن يَفُكَّه العدلُ أو يُوبِقَه الجور))(٧٨).

وأمّا المساواة فيمكن القول بأنّها: ((تماثل كامل أمام القانون، وتكافؤ كامل، إزاء الفرص، وتوازن بين الذين تفاوتت حظوظهم من الفرص المتاحة للجميع))[٧٩].

وللمساواة مظهران أساسيان:

١- المظهر الأول: المساواة أمام القضاء، وهو ما يسمى بالعدل، وينبغي أن يكون مطلقاً لا يتأثر بالمحبة والبغضاء ولا بالمال والجاه والحكّام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

٢- المظهر الثاني: المساواة في التوظيف، والعمل وغيرهما من الفرص، للجميع بلا تمييز، ولا تراعى فيها إلّا الكفاءات والمؤهلات اللازمة، والمساواة تمتاز بقيمتها المعنوية، فضلاً عن قيمتها المادية، إذ تترك أثراً إيجابياً في نفوس المواطنين، فيشعرون بالاطمئنان ولا يخافون على أرزاقهم. فإذا تجسد العدل وفق الشريعة الإسلامية تجسدت المواطنة الحقة التي تعطي كل مواطن حقّه وتلزمه بواجبه دون ظلم أو إجحاف.

وتأسيساً على ذلك جعل الإمام الحسين عليه السلام أهم مواصفات الإمام هو الحكم بالعدل بين الناس، إذ قال عليه السلام: ((فلعمري ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، والحابس نفسه على ذات الله))[٨٠].

ولقد ساوى الإمام الحسين عليه السلام نفسه مع أنصاره، إذ شاركهم في السراء والضراء، وفي آمالهم والآمهم، وعاش في وسطهم يتعرض لِما يتعرضون له، ولم يضع فاصلاً بينه وبينهم، فكانت أمواله وأطفاله معهم يبذلها من أجل الحق، وكان عليه السلام لأنصاره واتباعه أسوة وقدوة وهو القائل عليه السلام: ((نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيّ أسوة))[٨١].

وهذه هي العدالة في أبهى صورها عندما يتمثلها الإنسان المؤمن وهو يقف في وسط أصحابه وأهله فيجعلهم راضين بحكمه وقيادته.

٢ـ الستر والعفة والاحتشام:

الستر نوعان: ستر حسي، وستر معنوي.

أمَّا الستر المعنوي: فهو أن تجد المسلم قد اقترف الذنب، أو ارتكب الفاحشة فلا تفضحه، بل تنهاه عن معصيته، وتلين له في النصيحة، وتستر عليه فلا تبوح بخطيئته، ولا تعرّيه من ستر الله عليه. والعجب كل العجب مِمَّن يتربصون بأبناء الوطن الواحد لأيِّ فاحشة تقع، أو منكر يحصل، لا يخبروا الجهة المسؤولة عن ذلك فتنكره بالوسائل الشرعية، بل ليطيروا بخبره بين الناس إنَّها شهوة نقل الخبر التي عمّت وطمت من غير سلوك لوسائل النقل الصحيحة من التثبت والتأكد والستر والأدب، فأين هؤلاء من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور: ١٩).

وأمَّا الستر الحسي فهو أن تحسن إلى عارٍ من الثياب فتكسوه عن أعين الناس، وهذا هو هدي النبي محمد صلى الله عليه وآله، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة))[٨٢].

فالستر خلق جميل تجود به النفوس الكبيرة التي تنزَّهَ اَرواحها من أن تملأ مجالسها بالكلام في أعراض الناس، وترفع أقلامها أن تسطِّر أخطاءهم وتطهر أسماعها أن تصغي لعوراتهم.

هذا هو الإسلام، وهذه تعاليمه التي تحافظ على تماسك وترابط ابناء المجتمع فيغدو مجتمعاً مثالياً، وإن تعددت فيه الألوان والأطياف.

لقد كانت نفس الحسين عليه السلام تعف عن الشهوات وعن الانصياع لمطالب الحياة ومباهجها، وتميل إلى الستر، فيقول عليه السلام: ((والإجمال في الطلب من العفة، وليست العفة بمانعة رزقاً))[٨٣]، وكيف لا وهو لا يقتصر على أن تعف نفس الإنسان الشهوات والوقوع في المحارم بل يدعو إلى الوقوف بوجه السلطان الذي يتصف بهذه الصفات، فيقول عليه السلام: ((من رأى سلطاناً جائراً مستحلا لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا وقول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله))[٨٤]، ولم ترتض غيرة الحسين عليه السلام وحشمته أن يُعتدَى على النساء فوقف في يوم كربلاء كالجبل يصد عن نسائه ونساء أنصاره سهام الأعداء وضرباتهم وهو ينادي: ((أنا

الذي قاتلتكم وتقاتلوني، والنساء ليس عليهنّ جناح))[٨٥]، وفي ساحة المعركة وهو أحوج ما يكون إلى ناصر بعد أن أستشهد كل من حوله تأبى غيرته وحشمته أن تشترك معه امرأة في القتال بعد أن برزت إحدى نساء أصحابه وهي ترى الأعداء يحيطون به من كل جانب، فردها عليه السلام إلى المخيم قائلا لها: ((جزيتم أهل بيت خيراً، ارجعي رحمك الله إلى النساء فأجلسي معهنّ، فإنّه ليس على النساء قتال))[٨٦].

٣ـ الرحمة والرفق بالناس:

لكي تصل البشرية إلى وحدتها فتكون أمة واحدة، وإلى تواصلها فتكون أسرة واحدة، أمر الله جلّت حكمته بحسن الأدب، ولين القول وجميل الفعال، ويبين لنا القرآن الكريم أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله في تعامله مع الآخرين، كان سبباً في تجميع القلوب وتوحيد الصفوف، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

فالآية الكريمة تشير إلى الرحمة التي ألقاها الله في قلب رسوله، وتثني على أخلاقه السامية وقيادته الحكيمة، فعلى الرغم من عدم اتفاق أصحابه معه في بعض المواقف إلَّا أنَّه وسعهم بخلقه الكريم، وقلبه الرحيم، ولم يخاطبهم بالقسوة والشدة، بل باللين والرحمة، ولذلك اجتمعت القلوب حول دعوته وتوحدت تحت قيادته[٨٧].

فإنَّ أسمى معاني المواطنة تتجسد في الرحمة بين أبناء الوطن الواحد، لأنَّ التراحم بين الناس يشد بعضهم إلى بعض، ويخلق بيتهم جواً من الألفة والترابط، ويزرع في أعماقهم غيرة على المصلحة العامة، مِمّا يجعلهم أهلاً للمشورة وإبداء الرأي في سياسة الأمة بهدف الوصول إلى الحل السديد.

وكان من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام عطفُه على التائهين، وشفقتُه على الحائرين؛ لذا أكثر من وصاياه ومواعظه، وحِكمه وعِبره؛ رجاء أن يّتجهوا إلى الله سبحانه بالإخلاص، وإلى الناس بالأخلاق الطيبة، فقال عليه السلام كلمات امتزجت فيها المعارفُ الحّقةُ بالروحِ الأبوية الحانية: ((مِن دلائلِ علاماتِ القبول الجلوس إلى أهل العقول))[٨٨]، وقال عليه السلام: ((إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادةُ التجار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادةُ العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادةُ الأحرارِ وأهل الفضل))[٨٩]، وكتب إليه رجلٌ من الكوفة:

يا سيدي، أخبِرني بخيرِ الدنيا والآخرة. فكتب الإمام الحسين عليه السلام: ((بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد: فإنّ من طَلب رضا الله بسخطِ الناس كفاه الله أمور الناس، ومن طلب رضا الناس بسخطِ الله وكَله الله إلى الناس. والسلام))[٩٠].

٤ـ التعارف والأخوة بين الناس وصلة الأرحام:

إنَّ التعارف ضرورة من ضرورات التعامل بين الناس، فالجار يحتاج إلى جاره ولا يمكن أن يتعامل معه إلَّا إذا تعارف، وكل واحد من الناس قد يحتاج إلى غيره، فكيف يتعامل معه بدون تعارف بينهما؟ لذلك جعله الإسلام قاعدة من قواعد الآداب الإسلامية[٩١]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

والأخوة هي رابطة لها توابع وحقوق، حق في المال، والنفس، وفي اللسان، والقلب بالعفو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف، وهذا أصّل له الإسلام، فالإخاء الإسلامي هو الأصل الأصيل في بناء دولة الإسلام، وقيام الأمة الإسلامية، ولقد كان العرب قبل الإسلام على شفا حفرة من النار متناحرين متحاربين، من أجل ناقة، فنزلت الآيات، قيل لهم: تحابوا فتحابوا، وقيل لهم: تآخوا فتآخوا، ثم قيل لهم: انفروا، فهبوا خفافاً وثقالاً، لقد تنزلت عليهم الآيات فقالوا: سمعنا وأطعنا، فإذا بالفرقاء والمتناحرين قد أصبحوا دولة، ولذا نجد أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد بدأ في البناء الأخوي الكامل، ليقيم دولة الإسلام على أساس سليم، وآخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال فيما بلغنا: ((تآخوا أخوين أخوين))[٩٢].

وقد أكدّ الإمام عليه السلام على رباط الأخوة وحثّ عليها في كثير من خطبه ووصاياه، وكذلك عدّ عليه السلام صلة الرحم من أسباب بسط الرزق وطول العمر، فقال عليه السلام: ((من سره أن ينسأ في أجله ويزداد في رزقه فليصل رحمه))[٩٣].كما أنّه عليه السلام أمتدح من يصل الآخرين ولاسيّما من قطعه وأعتبره أوصل الناس، إذ قال عليه السلام: ((وإنّ أوصل الناس من وصل من قطعه، والأصول على مغارسها بفروعها تسمو، فمن تعجل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه غداً))[٩٤]. وبقي يدعو إلى صلة الرحم حتى أخر لحظة في حياته، فها هو الشمر ينادي على أبناء أخت له كانوا من أنصار الإمام الحسين عليه السلام، ويدعوهم إلى الانسحاب من نصرة

الحسين وهو يأمن لهم حياتهم فما كان من الحسين إلّا أن طلب منهم أن يجيبوه حرمة لصلة الرحم التي تربطه بهم فقال عليه السلام مخاطباً إياهم: ((أجيبوه وإن كان فاسقاً فإنّه من أخوالكم))[٩٥].

٥ـ التكافل الاجتماعي والإيثار:

يعد التكافل الاجتماعي من أهم الأسس التي يقوم عليها المجتمع في الإسلام والتي تضمن سعادته، وبقاءه في إطار من المودة والوحدة والسلام، ولقد حثّ القرآن الكريم على التكافل في كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(الحجرات: ١٠)، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١).

فالتكافل الاجتماعي: ((أن يتضامن ابناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم أكانوا أفراداً أو جماعات، حكّاماً أو محكومين على اتخاذ مواقف ايجابية كرعاية اليتيم، أو سلبية كتحريم الاحتكار، بدافع من شعور وجداني عميق يتبع أصل العقيدة الإسلامية، ليعيش الفرد في كفالة الجماعة، وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد، حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل، ودفع الضرر عن أفراده))[٩٦].

والتكافل الاجتماعي في الرؤية الإسلامية ليس مجرد تفضّل من الأغنياء على الفقراء، ولا هو مجرد إحسان، وإنّما هو نظام للحقوق الاجتماعية يرتقي إلى درجة الفرائض الإلهية، والواجبات الشرعية والتكاليف الدينية التي قررها الإسلام عامة، لعامة الناس في الثروات والأموال، ولقد أسس الإسلام هذا التكافل والتضامن الاجتماعي على فلسفته المتميزة والفريدة، وهي فلسفة تميزت عن سائر الفلسفات الوضعية سواء الرأسمالية أو الشيوعية، ولقد قامت هذه الفلسفة الإسلامية على عدة مبادئ منها:

- إنَّ الأموال والثروات هي ملك لله تعالى وسخرها للناس كافة فهم مستخلفون فيها، ملكيتهم لها مجازية واجتماعية.
- إن الفروق في حيازة هذه الثروات أمر طبيعي، وذلك بسبب تفاوتهم في الكفاءات والاحتياجات.
- إنَّ أسمى معاني التكافل تتمثل في حديث النعمان بن بشير، قال: قال رسول

الله صلى الله عليه وآله: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[٩٧]، تلك هي فلسفة الإسلام في التكافل، والقائمة على نظرية الاستخلاف والمتميزة عن الفلسفات الوضعية سواء الرأسمالية أو الشيوعية، إذ أنَّ التكافل الاجتماعي لا يتوقف فقط على جانب المادة بل تمتد مظلته لتشمل جوانب كثيرة ومتعددة مثل المشورة والنصيحة والود والمشاركة في الأفراح والمواساة في الأحزان، وغيرها.

ومن هنا فلا بُدَّ لكل فرد من أفراد المجتمع أن يسعى لتكوين دور إيجابي ومؤثر في المجتمع، فيعمل على حل مشكلات مجتمعه المزمنة، مثل الفقر، والبطالة، وغيرها، التي تحتاج إلى التكافل من أجل القضاء عليها أو الحد منها.

ولقد تربى الإمام الحسين عليه السلام على نكران الذات وإيثار الغير على نفسه وإن كان في حاجة لما يعطي، فقد روي أنّ الإمام علي بن أبي طالب وزوجه وأولاده، أعطوا طعامهم ثلاثة متتاليه إلى المحتاجين من مسكين وفقير ويتيم، وهم صائمون، فنزلت الآية الكريمة فيهم بقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ٨ - ٩)، لتكون شاهداً بعظمة أهل البيت الكرام عليهم السلام وإيثارهم.

وقد أكد القرآن الكريم في الكثير من آياته أنه تتجلى إنسانية الإنسان، ويصدق إيمانه باهتمامه بالمحتاجين والفقراء في مجتمعه، ومهما بلغ الإنسان من العلم، أو اجتهد في العبادة، فإنه لن تتحقق إنسانيته، ولن يصح تدينه، إذا ما تجاهل مناطق الضعف في المجتمع، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (الماعون: ١ - ٣)، لقد آثر الإمام الحسين عليه السلام الآخرين على نفسه في كل المواقف التي أحاطت به، فما كان يحصل على مال إلّا وزعه على المحتاجين واليتامى والمساكين، وقد شهد له بذلك الإعداء، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل زاده الإمام الحسين عليه السلام أنّه في أشد المواقف حراجة طلب من أصحابه أن يتفرقوا من حوله كي ينجوا بحياتهم ويتركوه وحيداً يجابه الأعداء في واقعة الطف إذ قال لهم عليه السلام: ((ليأخذ كل رجل منكم بيد صاحبه أو رجل

من أخوتي وتفرقوا في سواد هذا الليل، وذروني وهؤلاء القوم، فإنّهم لا يطلبون غيري، ولو أصابوني وقدروا على قتلي لَمَا طلبوكم))[٩٨]. فهل هناك معنى للإيثار أسمى من ذلك عندما تؤثر السلامة لغيرك على نفسك وأنت أحوج ما تكون إليه.

نتائج البحث:

وقد توصل البحث إلى نتائج يمكن أن نذكرها على النحو الآتي:

١- اتسمت أخلاقُ الإمام الحسين عليه السلام بالحكمة والمراعاة، فكانت موزونةً أدقَّ وزن؛ تُراعي الظروف الموضوعية، وتراعي حالة السامع والناظر من حيث مستواه وطبيعته، ومدى استعداده وتقبله؛ لذا نجدها أساليب مفيدةً في التربية والتوجيه، والإرشادِ والتعليم.

٢- إنَّ مفهوم المواطنة الصالحة في فكر الإمام الحسين عليه السلام هي صورة من صور التفاعل الإنساني بين أفراد المجتمع الواحد من جهة والمجتمع الإنساني العالمي من جهة أخرى، والتي تقوم على أساس الحقوق والواجبات والإخاء وحب الخير للناس والحرص على منفعتهم والتعاون معهم بما يرضي الله.

٣- ظهر لنا من خلال البحث أنَّ ولادة شخص ما في وطن ونشأته بين سكانه وحمله لجنسيته لا يكفي لجعل ذلك الشخص مواطناً صالحاً بل إنَّ المواطنة الصالحة تقتضي أن يتحلى المواطن بمجموعة من الصفات التي تجعله منتجاً فعّالاً صالحاً لخدمة وطنه في حدود إمكاناته وقدراته الخاصة.

٤- المواطنة في حقيقتها تقوم على أساس نظام متكامل من الحقوق والواجبات التي تقوم على العلاقة بين الفرد ومجتمعه الذي يعيش فيه.

٥- لا مواطنة بدون مواطن مشارك في التطور السياسي ومشارك في النماء الاقتصادي وفاعل في كلِّ شؤون الحياة.

Abstract

This research is trying to find out from the revolution of Imam Hussein (peace be upon him) and the blessed renaissance answers to the questions and issues of the times in order to provide urgent intellectual vision inspired by the renaissance of Imam Hussein (peace be upon him) help to draw a clear approach to address the issues of the day. We discussed this came to reveal a citizen actor Arshad attributes that to Imam Hussein (peace be upon him), and the disclosure of the most important principles that guide the relationship with the Muslim citizens, including around. In order to reach these goals of Research on three sections President, it is :

First topic: The titled ((citizenship in Islamic law)) concepts and semantics, we have dealt with this topic in a statement the meaning of the homeland, and the National, and the citizens of the linguistic point of view, and from the point of view of Islamic law.

The second topic: The titled ((Citizen actor attributes as including Imam Hussein (peace be upon him))) We have addressed in this section the most important features that must be it Muslim citizen through reference to texts which told about Imam Hussein (peace be upon him), These features, including faith, and moral, and social... etc.

The third topic: The titled ((principles that guide the Muslim relationship with those around him at the thought of Imam Hussein (peace be upon him))), we have dealt in this section the most important principles and foundations inspired by the thought of Imam Hussein (peace be upon him) that must be observed by Muslim citizens in During his relationship with others, and these principles: equality, justice, etc

هوامش البحث

(١) ينظر: لسان العرب ١٣/٥٥٧ - ٥٥٨، مادة(وطن).

(٢) رواه أبو داود في سننه: ٣/١٧٧.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده: ١/٣٧٥.

(٤) ينظر: من أسس التربية الإسلامية: ٣٧.
(٥) ينظر: حول القومية العربية: ٩.
(٦) ينظر: الإسلام والأمن الاجتماعي: ١٩٣.
(٧) ينظر: تربية المواطنة من منظور إسلامي: ٢٤٨.
(٨) معالم في الطريق: ٥٥٤.
(٩) ينظر: مفهوم الوطنية: ٥٦.
(١٠) الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام :٣٠.
(١١) ينظر: مجموعة الرسائل: ٢٠-٢١.
(١٢) تربية المواطنة من منظور إسلامي: ٢٤٩.
(١٣) ينظر: من أُسس التربية الإسلامية: ٣٧.
(١٤) مفهوم الوطنية: ٥٩.
(١٥) ينظر: المصدر نفسه: ٦١.
(١٦) ينظر: معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية: ٩٨.
(١٧) من أسس التربية الإسلامية: ٣٤.
(١٨) ينظر: مفهوم الوطنية: ١٦٠.
(١٩) ينظر: نحو تربية إسلامية حرة : ١١٨ - ١١٩.
(٢٠) دراسات في التربية النوعية: ١٤٢.
(٢١) ينظر: مفهوم المواطنة في الدول الديمقراطية: ١٠٩.
(٢٢) ينظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي:١١٢ - ١١٣.
(٢٣) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٣٠٥/٤.
(٢٤) ينظر: التعليم والتغيير: ٢٠.
(٢٥) تربية المواطنة:١٢.
(٢٦) مشاكل الشباب والحلول المقترحة والحل الإسلامي: ٤٩.
(٢٧) مبدأ المواطنة: ١٣٠.
(٢٨) ينظر: تربية المواطنة من منظور إسلامي: ٢٥٢.
(٢٩) تاريخ الطبري: ٣١٤/٣.
(٣٠) تفسير ابن كثير: ١١/٣.
(٣١) تفسير السعدي: ٦١٤.
(٣٢) تحف العقول: ١٦٨.
(٣٣) بحار الأنوار: ٣٢٩/٤٤.

(٣٤) الكامل في التاريخ: ٥٠/٤.
(٣٥) بحار الأنوار: ٣٢٩/٤٤.
(٣٦) رواه البخاري في صحيحه: ٣٦٨/٥.
(٣٧) تاريخ الطبري: ٣٠٧/٣.
(٣٨) بحار الأنوار: ٥/٤٥.
(٣٩) أعلام الهداية (الإمام الحسين - سيد الشهداء):٤٧.
(٤٠) فقه السيرة : ١٤٩.
(٤١) الدرة الباهرة: ٢٤.
(٤٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(٤٣)بحار الأنوار: ١٤٥/٢٣.
(٤٤) تاريخ الطبري: ٣٠٩/٣.
(٤٥) المصدر نفسه: ٣١٣/٣.
(٤٦) تاريخ الطبري: ٢٥٤/٤.
(٤٧) ينظر: أعلام الورى: ٤٦٨/١.
(٤٨) بحار الأنوار: ٧٨/ ١٢٤.
(٤٩) تحف العقول: ١٧٥.
(٥٠) بحار الأنوار: ١٢٣/٧٨.
(٥١) رواه ابن ماجه في سننه: ٢/ ١٣٣٨.
(٥٢) رواه البخاري في صحيحه: ٢٢٥٦/٥.
(٥٣) احقاق الحق: ٤٣١/١١
(٥٤) أعيان الشيعة: ٥٣/٤.
(٥٥) الإرشاد: ٢٢٤.
(٥٦) رواه مسلم في صحيحه: ٢٩٩/١.
(٥٧) بحار الأنوار: ١٢١/٧٨.
(٥٨) المصدر نفسه: ٦٢٠/١.
(٥٩) المصدر نفسه: ٧٨/ ١٢١.
(٦٠) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١٠٦/٢.
(٦١) تفسير ابن كثير: ٢٥٤/٢.
(٦٢) تاريخ الطبري: ٣٠٧/٣.
(٦٣) تاريخ الطبري: ٣٠٦/٣.

(٦٤) تاريخ الطبري: ٣٠٦/٣.
(٦٥) شبكة شيعة الإسلام.
(٦٦) رواه البخاري في صحيحه: ٥٣٦/٢.
(٦٧) رواه البيهقي في سننه: ٣٣٥/٤.
(٦٨) مستدرك الوسائل: ٣٥/١٣.
(٦٩) أعيان الشيعة: ١٦٢/١.
(٧٠) بحار الأنوار: ٧٨/ ١٢٨.
(٧١) حياة الإمام الحسين: ١٣٧/١.
(٧٢) احقاق الحق: ٤٤٠/١١.
(٧٣) تاريخ الطبري: ٢٨٠/٣.
(٧٤) تاريخ الطبري: ٢٩٧/٣.
(٧٥) أعيان الشيعة: ٦٢١/١.
(٧٦) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٣٨/ ٤٧٤.
(٧٧) ينظر: مفهوم العدل في الإسلام، مقال منشور في: http://forum.5aa5.com/179.html.
(٧٨) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٤٣١/٢.
(٧٩) الإسلام والأمن الاجتماعي: ٩٥.
(٨٠) تاريخ الطبري: ٥/ ٣٥٣.
(٨١) بحار الأنوار: ٤٤/ ١٢٨.
(٨٢) رواه ابن ماجه في سننه: ١٦٠/٤.
(٨٣) بحار الأنوار: ١٠٣/٢٧.
(٨٤) تاريخ الطبري: ٣/ ٣٠٦.
(٨٥) بحار الأنوار: ٥٤/٥١.
(٨٦) تاريخ الطبري: ٣٢١/٣.
(٨٧) ينظر: أدب المعاملة وأثره في بناء العلاقات الإنسانية :١٧.
(٨٨) تحف العقول: ١٧٨.
(٨٩) المصدر نفسه: ١٧٧.
(٩٠) المصدر نفسه: ١٧٧.
(٩١) ينظر: المدخل إلى القيم الإسلامية: ١٦.
(٩٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٥١/٢.
(٩٣) بحار الأنوار: ٩١/٧٤.

(٩٤) المصدر نفسه: ٧٨م ١٢١.
(٩٥) تاريخ الطبري: ٣١٤/٣.
(٩٦) التكافل الاجتماعي في الإسلام: ١٥.
(٩٧) رواه مسلم في صحيحه: ٢٠/٨.
(٩٨) تاريخ الطبري: ٣١٥/٣.

قائمة المصادر والمراجع

١- احقاق الحق: السيد نور الله الحسيني، مكتبة النجفي، قم - إيران، (د.ت).

٢-أدب المعاملة وأثره في بناء العلاقات الإنسانية: عودة عبد عودة، جامعة النجاح الوطنية نابلس - فلسطين، ٢٠٠٤م.

٣-الإرشاد: الشيخ محمد بن محمد بن النعمان، مكتبة بصيرتي، قم - إيران، (د.ت).

٤- الإسلام والأمن الاجتماعي: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة - مصر، ١٩٩٨م.

٥- أعلام الهداية (الإمام الحسين - سيد الشهداء): لجنة التأليف، المجمع العلمي لأهل البيت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٦- أعلام الورى بأعلام الهدى: الشيخ امين الإسلام أبي علي الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - لبنان، بيروت.

٧- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، دار المعارف، بيروت - لبنان، (د.ت).

٨- بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ١٩٨٣م.

٩- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك): لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف بمصر.

١٠-تحف العقول عن آل الرسول: أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط٢، جماعة المدرسين، قم - إيران، ١٤٠٤هـ.

١١- تربية المواطنة ((الاتجاهات المعاصرة في تربية المواطنة)): فهد إبراهيم الحبيب، اللقاء الثالث عشر لقادة العمل التربوي، الباحة - المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٥م.

١٢- تربية المواطنة من منظور إسلامي: د٠محمود خليل أبو دف، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، بمصر، أبريل، ٢٠٠٤م.

١٣- التعريفات: علي بن محمد الشريف الجرجاني ت(٨١٦هـ)، تحقيق وزيادة: محمد عبدالرحمن المرعشلي، ط٢، دار النفائس، بيروت - لبنان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٤-التعليم والتغيير: سعد أحمد يوسف، مجلة أحوال مصرية، السنة الثالثة، العدد العاشر، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٥- تفسير ابن كثير: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة - مصر.

١٦- تفسير السعدي: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلاّ اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٧- التكافل الاجتماعي في الإسلام: عبدالله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة - مصر.

١٨- حول القومية العربية: ساطع الحصري، سلسلة التراث القومي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٩٨٧م.

١٩-حياة الامام الحسين بن علي عليه السلام دراسة وتحليل: باقر شريف القرشي، ط٢، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٢٩هـ.

٢٠-دراسات في التربية النوعية: د. محمد خليل أبو دف، وسليمان المزين، مكتبة آفاق، غزة - فلسطين ٢٠٠٦م.

٢١-الدرة الباهرة: الدرة الباهرة من الاصداف الطاهرة منسوب الى: الشهيد الاول محمد بن مكي تصحيح وترجمة: عبد الهادي المسعودي الناشر: انتشارات زائر الطبعة: الأولى.

٢٢- سلوك المالك في تدبير الممالك: أحمد بن محمد بن أبي الربيع، دراسة وتحقيق: ناجي التكريتي، منشورات عويدات، ١٩٧٨م.

٢٣- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد المعروف بابن ماجة، دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٩٩٨م.

٢٤- سنن أبي داود: لأبي داوُد السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٢٥- سنن البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣م.

٢٦- سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٩٩٠م.

٢٧- السيرة النبوية: أبو الحسن علي الحسني الندوي، ط٢، دار ابن كثير، دمشق - سوريا، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٨- السيرة النبوية: أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري ت (٢١٣هـ)، ط٢، تحقيق: مجموعة من المحققين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

٢٩- صحيح البخاري: للإمام محمد بن اسماعيل البخاري، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية.

٣٠- صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت - لبنان ١٩٨٣.

٣١- فتح الباري شرح صحيح البخاري: للإمام ابن حجر العسقلاني، مكتبة الرياض الحديثة، ودار الفكر سوريا.

٣٢- فقه السيرة: محمد سعيد رمضان البوطي، ط١، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة - مصر.

٣٣- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة – مصر.

٣٤- قالوا في الإمام الحسين، مكتبة الإمام الحسين، شبكة شيعة الإسلام.

٣٥- الكامل في التاريخ: ابن الأثير الجزري، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٦- لسان العرب: لأبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي ت(٧١١هـ)، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل ابراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣٧- مبدأ المواطنة (مدخل نظري): بارعة النقشبندي، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد (٣٠) العدد(٢).

٣٨- مجموعة الرسائل: للإمام حسن البنا، دار التوزيع للطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة - مصر، ١٩٩٢م.

٣٩- المحيط في اللغة: للصاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٩٩٤م.

٤٠- المدخل إلى القيم الإسلامية: جابر قميحة، دار الكتب الإسلامية، القاهرة - مصر، دار الكتاب المصري، بيروت - لبنان، ١٩٨٤م.

- مستدرك الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي(ت: ١٣٢٠هـ)، مؤسسة آل البيت، قم - إيران، ١٤٠٧هـ.

٤١- مسند الإمام أحمد: للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر، وحمزة الزين، دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٩٩٥م.

٤٢- مشاكل الشباب والحلول المقترحة والحل الإسلامي: عباس محجوب، كتاب الأمة، قطر.

٤٣- معالم في الطريق: سيد قطب، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، ١٩٦٤م.

٤٤- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني ت(٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر.

٤٥- معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية: أحمد زكي بدوي، ط١، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ١٩٨٧م.

٤٦-مفهوم العدل في الإسلام: الزهراني، مقال منشور في شبكة المعلومات الدولية، http: //forum.5aa5.com/179.html

٤٧- مفهوم المواطنة في الدول الديمقراطية: علي خليفة الكواري مقال مطبوع ضمن (المواطنة والديمقراطية في الدول العربية)، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بلبنان.

٤٨- مفهوم الوطنية: عبد الكريم غلاب، سلسلة الثقافة القومية، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م.

٤٩- من أسس التربية الإسلامية: عمر محمد التومي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس - ليبيا، ١٩٩١م.

٥٠- نحو تربية إسلامية حرة: محمد الحسني ندوي، دار القلم، دمشق - سوريا، ١٩٩١م.

٥١- الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام: سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، ط٣، سلسلة كتب التربية الوطنية في السعودية، ١٩٩٦م.